وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا

الْخُطْبَةُ الْأُولَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ، خَلَقَ الْكَوْنَ بِإِبْدَاعٍ وَإِحْكَامٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: (**إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ**)[1]. **أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:** إِنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ؛ أَنْ أَوْدَعَ فِي الْأَرْضِ أَقْوَاتَهُمْ، وَوَزَّعَ فِيهَا أَرْزَاقَهُمْ، وَهَيَّأَ لَهُمْ فِيهَا مَعَاشَهُمْ، كُلُّ ذَلِكَ بِمِيزَانِ الْحِكْمَةِ وَالتَّقْدِيرِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: (**وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا**)[2]. وَضَمِنَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ لِلْإِنْسَانِ أَسْبَابَ اسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ وَاسْتِدَامَتِهَا، فَحِينَ أَنْزَلَ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ وَزَوْجَهُ إِلَى الْأَرْضِ قَالَ لَهُمَا: (**وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**)[3]. أَيْ: قَرَارٌ وَأَرْزَاقٌ تَسْتَمْتِعُونَ بِهَا إِلَى انْقِطَاعِ الدُّنْيَا[4].

وَحِينَ أَتَمَّ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ صُنْعَ السَّفِينَةِ، قَالَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ: (**احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ**)[5]. فَحَمَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ ذَكَرًا وَأُنْثَى[6]، لِلْحِفَاظِ عَلَى الْأَرْضِ بِكُلِّ مُكَوِّنَاتِهَا، وَدَوَامِ مُحْتَوَيَاتِ بِيئَتِهَا. **عِبَادَ اللَّهِ:** إِنَّنَا مُكَلَّفُونَ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ بِحِمَايَتِهَا، وَالْحِفَاظِ عَلَيْهَا، وَعَدَمِ الْإِسَاءَةِ إِلَى مُقَدَّرَاتِهَا، قَالَ تَعَالَى: (**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**)[7]، وَأَمَرَنَا سُبْحَانَهُ بِعِمَارَةِ الْأَرْضِ، وَبِنَاءِ حَضَارَتِهَا، وَتَنْمِيَةِ مَوَارِدِهَا، قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: (**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**)[8]، أَيْ: جَعَلَكُمْ عُمَّارَهَا، تَسْتَخْرِجُونَ خَيْرَاتِهَا، وَتُسْهِمُونَ فِي بِنَائِهَا؛ بِتَشْيِيدِ مَسَاكِنِهَا[9]، وَحَفْرِ

---

(1) يونس: 6.
(2) فصلت: 10.
(3) البقرة: 36.
(4) تفسير الطبري: (359/12) وتفسير ابن كثير: (236/1).
(5) هود: 40.
(6) تفسير الطبري: (314/15).
(7) الأعراف: 85.
(8) هود: 61.
(9) تفسير البغوي: (185/4) وتفسير القرطبي: (56/9).

آبَارِهَا، وَشَقِّ طُرُقِهَا، بِمَا يَضْمَنُ جَوْدَةَ الْعَيْشِ فِيهَا، وَاسْتِفَادَةَ الْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ مِنْهَا، مِصْدَاقًا لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ: **(اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ)**[1]، فَالْمُحَافَظَةُ عَلَى الْأَرْضِ وَخَيْرَاتِهَا، وَاسْتِدَامَةُ مَوَارِدِهَا وَمُقَدَّرَاتِهَا؛ سَبَبٌ فِي تَحْقِيقِ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، وَعُمُومِ الْبَرَكَةِ فِي الْأَجْيَالِ، فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لَكَ شَاكِرِينَ، وَعَلَى خَيْرَاتِ الْأَرْضِ مُحَافِظِينَ، وَوَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ أَجْمَعِينَ، وَطَاعَةِ رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ، وَطَاعَةِ مَنْ أَمَرْتَنَا بِطَاعَتِهِ عَمَلًا بِقَوْلِكَ فِي كِتَابِكَ الْمُبِينِ: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)**.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، أَمَرَنا بِاسْتِدَامَةِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ مُقَدَّرَاتٍ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّنَا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ شُرَكَاءُ، نَعِيشُ عَلَيْهَا، وَنَنْعَمُ بِخَيْرَاتِهَا، وَنَتَحَمَّلُ جَمِيعًا مَسْؤُولِيَّةَ سَلَامَتِهَا، وَدَوَامِ اسْتِقْرَارِهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ رَكِبُوا سَفِينَةً، **«فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»**[2]. فَالْمَسْؤُولِيَّةُ الْمُشْتَرَكَةُ؛ تُحَتِّمُ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ الِاسْتِمْرَارَ فِي الْإِعْمَارِ وَالْبِنَاءِ، وَالْعِنَايَةِ بِالزِّرَاعَةِ وَالْإِنْمَاءِ، حِفَاظًا عَلَى جَوْدَةِ التُّرْبَةِ وَنَقَاءِ الْهَوَاءِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**»[3]. وَإِنَّ مِمَّا يُحَافِظُ عَلَى نَقَاءِ الْهَوَاءِ؛ الِاعْتِمَادَ عَلَى الطَّاقَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ، فَإِنَّ لَهَا دَوْرًا كَبِيرًا فِي تَحْقِيقِ التَّوَازُنِ الْمُنَاخِيِّ، وَذَلِكَ لِتَظَلَّ الْأَرْضُ فِي تَقَدُّمٍ وَازْدِهَارٍ، وَرَخَاءٍ وَاسْتِقْرَارٍ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ الْأَكْرَمِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِنِعَمِكَ حَافِظِينَ، وَلِفَضْلِكَ شَاكِرِينَ، وَبِطَاعَتِكَ قَائِمِينَ،

(1) هود: 48.
(2) البخاري: (2493، 2686).
(3) البخاري في الأدب الفرد: 479، وأحمد في مسنده: (13322).

وَلِلْخَيْرَاتِ سَابِقِينَ، وَاجْعَلْنَا دَوْمًا مُوَفَّقِينَ، وَنَفِّسْ هَمَّ الْمَهْمُومِينَ، وَفَرِّجْ كَرْبَ الْمَكْرُوبِينَ، وَاشْفِ الْمَرْضَى وَعَافِ الْمُصَابِينَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ: الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا.

عِبَادَ اللَّهِ: اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.